رسالتنا

معركة الوجود والفطرة.. مخاطر هدم الأسرة وتفكيك الأمة

العالمين، خلق الإنسان، علمه البيان، أراد به الخير فأرسل رسوله بالهدى والفرقان، والصلاة والسلام على رسول الله خير قدوة ومعلم ومربٍّ وهاد إلى ما يصلح الإنسان والعمران.

لقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته مع الأفراد فعرفهم برسالته وعلمهم الكتاب والحكمة ودعاهم إلى طريق الله، فاستجاب له من كتب الله له الهداية، فأخرجهم من الظلمات إلى النور ونقلهم من عبادة الأوثان ورذائل الأخلاق إلى عبادة الله الواحد القهار ، وخاض بهم غمار الدنيا فسادوها، يقول الله تعالى : « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ « (الجمعة: 2).

وكل بناء صحيح وإصلاح قويم لأي أمة إنما يبدأ من الفرد، فهو الفاعل الحقيقي واللبنة الصلبة والنواة الأولى في صناعة التأثير داخل المجتمعات، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11).

والفرد الذي يعي ذاته ويعرف طريقه لن يفلح في الوصول إلى غايته وتحقيق مبتغاه إلا بالاشتباك مع واقع أمته ليكون لبنة في التغيير، ونواة للإصلاح.

لقد سار الإمام حسن البنا على خُطا رسول الله صلى الله عليه وسلم، مقتفيا أثره ومتبعا سنته ومستشرفا طريقه في صناعة الأمم وصياغة الرجال، فحدد طريقه فيما ذكره في رسالة (إلى الشباب) قائلا: «إن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل، واضح الخطوات ... نريد أولًا الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته وفي عمله وتصرفه، فهذا هو تكويننا الفردي ... ونريد بعد ذلك البيت المسلم في تفكيره وعقيدته وفي خلقه وعاطفته وفي عمله وتصرفه، ونحن لهذا نُعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونُعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب، وهذا هو تكويننا الأسري».

ثم ينتقل الإمام البنا إلى رحاب المجتمع فيقول: «نريد بعد ذلك الشعب المسلم.. ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت، وأن يُسمع صوتُنا في كل مكان، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل في القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار».

إن أمتنا اليوم - وهي على مفترق طرق - تواجه تحديات جمة وتقف أمامها عقبات كثيرة، وتتعاظم أمامها التبعات، وهي في مسيس الحاجة إلى بناء النفوس وتشييد الأخلاق وطبع أبنائها على خُلق الرجولة الصحيحة، حتى يصمدوا أمام العقبات ويتغلبوا علي المصاعب، وينجحوا في بناء مجتمع واعد وأمة رائدة، فالرجل الواحد بإمكانه أن يبني أمة إن صحت رجولته، وفي وسعه أن يهدمها إذا فقد مقومات الرجولة الحقة.

الأسرة المسلمة.. مخاطر هدم الحصون

وإذا كان الفرد هو الفاعل الحقيقي والنواة الأساس في بناء الأمة، فإن الأسرة هي الوعاء الصادق الذي تنمو فيه الرجولة، فقد قضى الله أن تكون الأسرة - منذ بدء الخليقة - سياجاً يحفظ المجتمعات ووجاءً يضبط حركة الأفراد من الزلل والتيه، وبناءً قويما لمن كلفه الله بخلافته في الأرض؛ ليعمرها ويبذر فيها الخير، ويبني حضارتها، وينشر في ربوعها الصلاح.

وقد كان كيد شياطين الإنس والجن محيطا بالأسرة من كل صوب حتى أصبح الكيد تقوده اليوم مؤسسات عالمية ومخططات دولية، تسعى لإنفاذه حكومات ونفر من أبناء جلدتنا يصيغون القوانين التي تفسد كيان الأسرة ولا تصلحه، رغبة في فرضها على الأمة.

ولعل من أخطر ما يطرحون من قوانين وما يسعون لفرضه على الأمة أن تكون مؤسسة الأسرة بلا قائد وتنطلق بلا ربان، فيتصارع فيها الرجال مع النساء والأبناء مع الآباء، وتضيع القوامة التي أراد الله بها إحداث التوازن داخل الأسرة؛ فيحل النزاع بديلا عن المودة والرحمة، والخلاف بديلا عن التوافق والتحاب.

ويختفي في قوانينهم أي حديث عن الولي في زواج ابنته؛ فتنحل أركان المجتمع وينفرط عقد تماسكه رغم ما أجمع عليه الفقهاء ونص عليه الإسلام بأنه «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»، ليتحول الزواج إلى مغامرات بين الشباب لا وجود للعائلة فيه ولا سلطان للمجتمع عليه.

وفي غير موضع من هذه القوانين دُسّت بنود تحوّل الزواج إلى علاقة تعاقدية، والمرأة إلى سلعة تباع وتشترى بعيدا عن السكن وبديلا عن المحبة والمودة، وتدفع إلى التنازع والشقاق وتفتح الباب على مصراعيه للطلاق والانفصال، فتحرم الأجيال الجديدة من محضن تربوي آمن.

وفي حين يعمل هؤلاء على التنفير من الزواج وإثقال كاهل الشباب بالشروط وتوعدهم بالسجون والغرامات، يُفتح المجال واسعا - في الوقت ذاته - على حفلات المجون وتشجيع الرذيلة وإتاحتها لمن يريد وإباحتها لمن لا يجد إلى الزواج سبيلا، في ظل تغييب متعمد للقدوات والدعاة المخلصين والزج بهم في غياهب المعتقلات، ومنع من تبقى منهم قسرا عن أداء واجبه في البيان للأمة وإرشاد المجتمع.

إننا نوجه نداء إلى كل مخلص لدينه ومحب لوطنه، بل ولكل منتم إلى الفطرة الإنسانية، بالإسراع قبل فوات الأوان لتدراك هذه المخاطر والتحديات، وقبل أن تصبح الأسرة، المحضن الأول لتربية الأجيال القادمة، في مهب الريح إن لم يتداركها العقلاء وينافح عنها المصلحون.

أعداء الخارج.. ومنهجية تفكيك الأمة

إن التحديات التي تواجه الأسرة والمجتمع لم تتوقف عند المخاطر الداخلية التي يتولى كبرها نفر من أبناء الأمة، بل يعمل أيضا أعداء الخارج بكل قوتهم لهدم هذا البناء وتقويض أركانه بطريقة ممنهجة.

وإذا نظرنا إلى ما يفعله الاحتلال الصهيوني في أرض فلسطين، خاصة في غزة الأبية، لا يمكننا قراءة المشهد على أنه عدوان عسكري محض، بل هو عدوان يستهدف أيضا الحاضنة المجتمعية، إمعانا في إهانة كرامة مجتمع بأكمله بات يقف خلف قضبان البطش والترهيب.

لقد أصبح استهداف النساء الفلسطينيات بالاعتقال والملاحقة والتهديد المباشر داخل سجون الاحتلال يمثل ضربة مؤلمة وقاسية في قلب البنية الاجتماعية الفلسطينية؛ حيث توثق التقارير الأممية والحقوقية ممارسات التعذيب النفسي والجسدي، والتفتيش العاري، والتهديد بالحرمان من الأطفال، والاحتجاز الإداري بلا تهمة لعشرات النساء والأمهات والطالبات والصحفيات، حيث يُحرمْنَ من أدنى مقومات الحياة والرعاية الصحية، في ظل صمت دولي مخزٍ عن تدمير هذا المجتمع والمساس بكرامة نسائه.

إن العقل والمنطق والأخلاق الإنسانية والشرائع السماوية تفرض على كل إنسان حر أن يتحرك بشكل عاجل لفضح الجرائم الصهيونية بحق المجتمع الفلسطيني والنساء بشكل خاص؛ فالعدالة لا تتجزأ، وحماية النساء والمدنيين واجب أخلاقي وقانوني لا يحتمل التأجيل.

ولا تقف الجرائم التي تتم ضد الأسرة، وخاصة النساء، عند حدود ما يرتكبه الاحتلال الصهيوني، بل تُمارَس بدم بارد ونخوة مفقودة مع نساء مصر اللائي يتم الزج بهن في قضايا سياسية واعتقالهن لمدد طويلة بلا جريرة ارتكبوها أو جريمة اقترفوها، وما نقموا منهن إلا لأنهن يأملن في غد أفضل لأبنائهن ويسعين لحماية كيان أسرهن.

وليس بعيدا عن ذلك ما يعصف بالسودان من حرب مقصودة تدمر النسيج الاجتماعي وتقطع صلة الرحم وتحرم المجتمع من التعايش السلمي، بعد أن تحول السودان إلى ساحة لأكبر مأساة إنسانية ونزوح بشري، حيث تم إجبار أكثر من 12 مليون سوداني وسودانية على الفرار من ديارهم، بينما يواجه أكثر من نصف السكان مخاطر الجوع الحاد والانتهاكات الممنهجة.

إن استمرار الاقتتال في السودان بدعم أطراف عربية ودولية، والتجييش العرقي، واستهداف الأبرياء ليس مجرد خسائر عسكرية؛ بل هو طعنة في قلب الهوية السودانية القائمة على التسامح والشهامة، والعقل يملي على الجميع أن يدرك أن النصر العسكري على ركام هوية الوطن وكرامة الإنسان هو هزيمة كاملة.

وفي لبنان لم يكن المشهد مختلفا، حيث تحول إلى ساحة مستباحة للعدو الصهيوني تنزف فيها الدماء وتُزهق الأرواح ويُعتدى فيها على الممتلكات.

لقد أدت الحروب إلى تهجير مئات الآلاف وتدمير البنى التحتية والاقتصادية في لبنان والمنطقة، متسببة في كوارث إنسانية وسياسية، وفي وقت تُستخدم فيه الأراضي العربية كميادين لتصفية الحسابات والنفوذ، يجد الكيان الصهيوني فرصته الاستراتيجية لفرض التفوق واستعراض القوة العسكرية تحت ذريعة حماية أمنه القومي، مما يعزز هيمنته وإضعاف مقومات الاستقلال والتعافي لدى شعوبنا العربية.

إن الأمن الإقليمي الحقيقي لا يتحقق عبر التبعية للمشاريع الخارجية أو اغتصاب إرادة الشعوب، بل من خلال بناء سيادة وطنية حقيقية، واستقلال القرار، وحماية الأرواح والكرامة الإنسانية، قبل أن تقضي هذه الحروب على ما تبقى من سلام وحياة في المنطقة.

إن هذه المواجهات الخشنة التي يقودها العدو في أكثر من ساحة، تجري بموازاة كاملة لحرب عالمية ضد القيم الإنسانية والفطرة السليمة، وهي الحرب الأشد خطورة في تاريخ البشريّة؛ فهي تستهدف المنظومة القيمية والأخلاقية للمجتمعات تحت شعارات مُضللة براقة، تسعى لتفكيك الأسرة، وإحداث سيولة أخلاقية، ومحاصرة لكل مرافئ التربية السوية في عمل ممنهج لتدمير بنية المجتمعات، وتحويل الإنسان إلى فرد معزول عن هويته وانتمائه، ليسهل استغلاله واستعباده استهلاكياً وفكرياً؛ كي يصيرا شيئا مستعملا وليس بشرا مكرما.

إن حماية الفطرة والقيم الإنسانية ليست ترفاً أو جموداً، بل هي خط الدفاع الأول عن بقاء مجتمعاتنا، التي نذرت جماعة «الإخوان المسلمون» نفسها -منذ نشأتها- لحمايتها؛ صونا لقيم الحق والعدل، وحمايةً لحرمة الأسرة، إدراكا لحجم المخاطر التي تحيط بها ، ومعرفة بالواجب الملقى على عاتقها مع كل المخلصين من أبناء هذه الأمة.

إن واجب الوقت الآن هو أن يعي الجميع حجم المعركة وطبيعتها، فهي معركة وجود وكرامة وفطرة سليمة، وإن الحفاظ على الأسرة وهويتها الإسلامية بات من أهم ركائز استعادة سيادة الشعوب ومواجهة مشاريع التفكيك والهيمنة التي تحيط بها.

والله أكبرُ ولله الحمد

أ.د محمود حسين

القائم بأعمالِ فضيلةِ المرشدِ العام لجماعة «الإخوان المسلمون»

الجمعة 29 ربيع الأول 1448 هجرية - الموافق 11 سبتمبر 2026م